

الفضاء في رواية الأرجوحة لبدرية البشر

الأستاذة انشراح سعدي
جامعة الجزائر 2

سنتمثل في هذا البحث اغتراب الفضاء في رواية الأرجوحة لبدرية البشر في محاولة للإجابة عن السؤال التالي: كيف ساعد الفضاء في هذه الرواية على اغتراب الشخصيات ؟ منطلقين من خلفية نظرية مفادها أن الفضاء يجب أن يدرس من خلال علاقاته مع المكونات السردية، إذ عرض بورنوف دراسة الفضاء في علاقاته مع الشخصيات والمواقف، و الزمن، مع ... ووتيرة الرواية¹ في حين تحدث ميتيران عن العلاقات التي توحد الأنماط الفضائية فيما بينها وبين كافة المكونات الأساسية للعمل، بما في ذلك نظام الشخصيات والأحداث والزمن² ورأى أساتشاروف أنه من الضروري النظر في علاقة الفضاء بعناصر القصة الأخرى³، ولأن لكل نص روائي فضاء خاصا به، سنعمد الوقوف إلى نصوص روائية متنوعة، نحاول من خلالها استخراج اسقاطات الشخصيات على الفضاء الذي يعكس مواقفها وأفكارها ومدى مساهمة هذا في معرفة اغتراب الشخصية الروائية بشكل أدق، خصوصا أن التأثير بين المكان والشخصية يسهل في إيصال الدلالة المبتغاة إلى القارئ⁴، ومادام هذا الفضاء " يعاش و يقال و يكتب وهو المسؤول عن الجودة وعن الصورة ..⁵ فسنحاول من خلاله إضاءة اغتراب الشخصيات، على الرغم من أن البعض يقول

¹ - R. Bourneuf, « L'organisation de l'espace dans le roman », art. cit., p. 87.

² Préface à l'ouvrage de Denis Bertrand, L'Espace et le sens, Germinal d'E.Zola, Paris-Amsterdam, Hadès-Benjamin, 1985.

³ M. Issacharoff, L'Espace et la nouvelle, Paris, Corti, 1976, p.18.□

⁴ يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1-2005، ص162.□

⁵ Henri Lefebvre. *La Production de l'espace*. Paris : Anthropos, 2000. p. 52.

بموجب الاطلاع على الفضاء لنتمكن من فهم النص و البعض الآخر يرى ضرورة الاطلاع على النص لفهم الفضاء¹.
سنتناول الاعمال الروائية التالية (الحزام لأحمد ابو دهمان، بنات الرياض لرجاء الصانع، الارجوحة لبدرية البشر).
1- اغتراب الفضاء في الارجوحة لبدرية البشر:

ينفتح النص الروائي بالارجوحة² لبدرية البشر، على وصف لمدينة الرياض "تركزت مريم مدينة الرياض، كما هي في شهور الصيف شاحبة ومحتقنة، مثل امرأة حبلى، لكن بالغبار. الغبار كل شيء. عواصف ترابية تهب بلا انقطاع. في الصيف لا يهطل سوى التراب. تهز الرياح الأشجار فيهر التراب الرافد على غصونها وأوراقها. تهب الرياح فتنتشع طبقة ترابية من الارض جففتها الشمس، وتطير ذراتها بسرعة شديدة. تملأ الفضاء المنخفض بالتراب الذي يهبط من السماء، او يتطاير من الأرض وتستمر عواصفه أيام حتى يصير وجه السماء كوجه مقبرة اصفر وشاحبا"³. قرنت بدرية البشر وصفها لمدينة الرياض بالمقبرة ليس في هذا الموضع من الرواية فقط، وإن كانت ربطت وصفها لمدينة الرياض بالزمن بقولها "في فصل الصيف" فإنها ربطتها لاحقا لا بالزمن ولكن بأيديولوجيا قام عليها النص الروائي "كانت تظن ان الرياض بضجرتها وقيودها وعباءتها

¹ Marc Brosseau. « L'Espace littéraire entre géographie et critique. » dans Rachel Bouvet et Basma El Omari (dirs.). *L'Espace en toutes lettres*. Montréal : Éditions Nota bene, 2003. p 15. □

² سلوى، مريم، عتاب... ثلاث بطلات يرغمن "رجالهن" على الهبوط من أرجوحتهن قهراً بعدما عرفن عليها معنى الفرح السريع والعاير، والسير على أقدامهن في طريق وعرة وخطيرة... الارجوحة هي تصوير واقع المرأة العربية الأليم التي ارتأت تصويرها من خلال ثلاث نساء تختلف حيواتهن فالنساء الثلاث تركن وأساليب عيشهن ومستوياتهن، وإنما تجمعهن ظروفهن المتشابهة في مدينة جنيف، موطنهن الأساسي في السعودية واتجهن إلى سويسرا للبحث عن أزواجهن الذين تركوهن يقبعن في ظلام الوحدة والبؤس من أجل غايات مختلفة. □

□ بدرية البشر : الارجوحة، دار الساقي، بيروت، 2010، ص 7.

السوداء، تستحق وحدها ذلك اللقب....وعرفت أن الغبار ليس وحده ما يحوّل المدن الى مقابر. هناك اشياء كثيرة تجعل الأوطان مقابر.¹ هذا الوصف جاء على لسان البطلة مريم التي تتأفف من القيود والعباءات السوداء في إشارة الى طبيعة المجتمع السعودي المنغلق، لتشبه في موضع آخر الرياض بالمعتقل "شعرت بأن مدينة الرياض قد تحولت بأحجارها، وشوارعها ورباها، و بيوتها، ومطاعمها الى معتقل عائلي كبير، وعجينة واحدة من المحاذير، والوصاية، والتفاصيل، والرقابة"². فالمدينة هنا بكل تفاصيلها: الأحجار، الشوارع، الربي، البيوت، المطاعم تختنق تحت ما أسمته الروائية على لسان الساردة "مريم عجينة المحاذير والوصاية والرقابة"؛ فمدينتها الرياض تدور في مربع جعلها في ذهن مريم مقبرة ومعتقلا كما يظهر في الرسم البياني:

الوصاية

التفاصيل

الرياض
المقبرة
المعتقل

المحاذير

الرقابة

لا تقدّم لنا الارجوحة فضاء واحدا ولكنها تقوم على فضاءن : فضاء مدينة الرياض، وفضاء مدينة جنيف بسويسرا. يبرز الفضاءان في سياق تقاطب ضدي مؤطر برحلة البطلة مريم، من مدينة (الرياض -المقبرة _المعتقل) الى مدينة (جنيف- الحياة -الحرية) للبحث عن زوجها مشاري الذي تركها في الرياض وانقطع الاتصال بهاتفه الجوال بعد اسبوع من سفره.

□ بدرية البشر : الأرجوحة، ص 8.

□ بدرية البشر : الأرجوحة، ص 25.

من خلال وصف الساردة لمدينة الرياض-وإن لم يكن وصفاً
توبوغرافياً- يمكننا الفضاء من الوقوف على نوع الرواية كما قال
جولدنستون في تصنيفه لأنواع الروايات:"الرواية المفتوحة، الرواية
متجددة الهواء الرواية المغلقة المسيجة، من الداخل أو من الخارج من
الحركة أو السكون، الضوء أو الظلام، حيث الفضاء المعادي أو
الصديق، السعيد أو المنزعج" كل رواية ... لا بد لها من فضاء¹
والقراءة القادرة على كشف دلالة هذا الفضاء ستنبني على إقامة
مجموعة من التقاطبات المكانية، تأتي تلك التقاطبات عادة في شكل
ثنائيات ضدية تجمع بين قوى أو عناصر متعارضة بحيث تعبر عن
العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي أو الشخصيات
بأماكن الأحداث وتقوم هذه التقاطبات بدور هام في عملية السرد، حيث
أنها لا تنظر للمكان باعتباره عنصراً خالياً من الدلالة، بل تستقصي
دلالاته الأيديولوجية والفكرية والاجتماعية انطلاقاً من رصد علاقاته
بأبرز مكون سردي وهو الشخصية الروائية كيلا يستحيل المكان إلى
تشكيل توبوغرافي كحيز للإقامة والانتقال، وسنركز في تحليلنا على
كل عنصر من عناصر التقاطب الأصلي (أماكن الإقامة -أماكن
الانتقال):

التقاطب الأصلي:

1-فضاء الإقامة :

1-1فضاء الإقامة الاختيارية :

1-1-1فضاء البيت:

يعتبر البيت بوصفه فضاء مغلقاً، المكان الأكثر أمناً لأي إنسان
بصرف النظر عن نوعه (قديم/ جديد، واسع/ ضيق، وضع/ فخم)، فهو
ركننا في العالم، إنه كما قيل مراراً كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما

¹ Michel Raymond, « L'expression de l'espace dans le nouveau roman », Positions et oppositions dans le roman contemporain, colloque de Strasbourg, Klincksieck, 1971, p.181.□

للكلمة من معنى¹، وهذا ماجعل باشلار يضع البيت في المرتبة الأولى ويقدمه على الأمكنة الأخرى، وهو عنده يقابل " اللآبيت" ويدعونا إلى ضرورة الإلمام بجميع اجزائه والدلالات المرتبطة به، إذا أردنا أن ندرسه في شموليته وتعقيده²، وقيمة البيت كمكان تتحدد من خلال ارتباط الإنسان به، و"عندما يجري تجاهل هذا الارتباط ونفي تلك العلاقة بين الإنسان و المكان، فإنه لا يكون بإمكاننا سوى أن نؤثر على هذا الغياب بوصفه ثغرة لا يرجى التئامها بغير احلال الانسان في الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون فيه من حيث هو متملك للمكان وصاحب الحق فيه أولا وأخيرا³.

ركّزنا في تحليلنا الروايات المدروسة على علاقة الفضاء بالشخصية، إذ لا يمكن أبدا أن يكون الفضاء مجرد انعكاس أو نتاج خبرة فردية، وفي كثير من الحالات هو محاولة للتأثير على العالم⁴، وجاء الفضاء في رواية بدرية البشر على علاقة تكاملية وتبادلية بالشخصيات، إذ لا دلالة لفضاء رواية الارجوحة بمعزل عن شخصياتها، فالبيت والمسجد والشارع والجامعة والمقهى وغيرها من الأماكن هي مجرد أماكن، إن لم تتحرك الشخصيات في سياقات مختلفة تعطي روحا لهذا المكان، فكلما تحركت الشخصية في السياق " حركت معها خصوصيات تمتلكه مثلما يمتلكها"⁵.

غاستون باشلار:جماليات المكان، تر:غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،¹

□ بيروت، ط3، 1987، ص36.

□ نفس المرجع، ص35.²

3حسن مجراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء-الزمن-الشخصية- المركز الثقافي العربي، الدار

□ البيضاء، ط2، 2009، ص54.

4 Jean Weisgerber, *L'espace romanesque*, Lausanne, éd. L'Âge de l'Homme, 1978, p. 11.□

5 حسن نجمي: شعرية الفضاء، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت،

□ ط1، 2000، ص133.

أدى فضاء بيوت البطلات الثلاث في رواية الأرجوحة عدّة وظائف دلالية، سنبدأ بالبيت الذي كانت تسكنه عَنَاب "ولدت عَنَاب في غرفة خلفية من قصر عَمَتها شريفة...كانت والدتها زيتونة تهاب عمتها شريفة وتحبها في الوقت نفسه،فزيتونة لم تعرف أهلا غيرها.وهي أيضا ولدت في قصر والد العمة شريفة من أبوين عبيدين..."¹، نفهم من هذا المقطع أن عَنَاب ابنه لآمة حرّر والداها ولكنها بقيت تعمل خادمة في قصر العمة شريفة، التي تؤمّن لها مسكنا ذكر في السرد ع أنه غرفة واحدة، يفترض حسب باشلار أنها الأكثر أمنا لأي إنسان كونها فضاء مغلقا. مما يحملنا على التساؤل هل الغرفة التابعة لقصر يمتلكه الآخر تدخل في خانة أماكن الإقامة الاختيارية؟ وهل تنتقي صفة الأمان عنها؟.

جاء في الرواية المدروسة اجابة صريحة عن التساؤل الاول فالعيش في إحدى غرف القصر والعمل فيه ليس اختيارا وإنما هو ضرورة تحتمها الظروف الاجتماعية خارجه.."هي أيضا ولدت في قصر والد العمة شريفة من ابوين عبيدين، حررا مع حركة تحرير العبيد، لكن أولئك العبيد ظلوا يتناسلون في القصر، من دون معنى كبير للفرق بين عبوديتهم وكونهم خدما ما داموا يجدون ما يأكلونه ويلبسونه. بل انهم يجدون انفسهم افضل من الفقراء المتسولين الذين ينفقون بباب العمة شريفة كل نهار.انهم يقومون بعملهم على أكمل وجه وبالتالي فهم في مأمن من العوز والفقر."²

بقي والدا زيتونية على غرار العديد من عبيد المملكة العربية السعودية عند اسيادهم رغم القرار الصادر في 7 نوفمبر 1962 بوقف تجارة العبيد وتحريرهم³، والبقاء اجباري فالمسترق يوفر المأكل والملبس للعبد الذي لا يضمّنهما وهو حر، ولقد وصف المستشرق الهولندي سنوك هوروخرونيه بعض ملامح حياة العبيد في الحجاز

□ بدرية البشر، الأرجوحة، ص120، 121.

□ بدرية البشر: الأرجوحة ص121.

□ أنور عبد الله: البترول والأخلاق دار الضحى، لندن - 1990، ص275.

عام 1884م بقوله ومأكلهم متوفر ولا بأس به، وهم بعد تحريرهم يسعى الفرد منهم للعمل بالأجرة كعمال بناء أو سقائي مياه، الخ. فيما يفضل أغلبهم البقاء تحت وصاية الأسر التي خدموا فيها خصوصا اذا قرروا الزواج ... ان اثرياء مكة يحبذون ملء منازلهم بالعبيد، وهؤلاء العبيد بدورهم يعيشون حياة مترفة مقارنة بغيرهم ويجري التعامل معهم كأفراد من العائلة. أما الأكفاء منهم فيتحولون تلقائياً الى مسيري شئون التجارة للأسر التي يعملون فيها ... وأغلب عبيد المنازل يجري اطلاق سراحهم حال تجاوزهم سن العشرين، نظراً لخوف ملائكتهم من استمرار اختلاطهم وهم البالغون مع نساء الأسرة وجواريها ¹.

تعود بادية البشر من خلال البطلة عناب ذات البشرة السوداء الى قضية شائكة في تاريخ المملكة العربية السعودية وهي تجارة الرق، وما ترتب عليها حتى الآن في تناص سريع مع تاريخ المملكة العربية السعودية كمحاولة لمواجهة الذاكرة المأزومة، اذ تبدو ذاكرة الساردة في نهاية المطاف عاملاً من أهم عوامل تشكل الرواية العربية المعاصرة التي تولد من رحم انزواء الفرد وتعمق مأساته الذاتية على الرغم من الانفتاح والعولمة . فالمبدع - في تصوري - غدا أكثر إحباطاً، و في ذات الوقت أكثر قدرة على التعبير عن ذاكرته بل سيرته، في كتابة سردية، تتشغل أكثر ما تشغل بهذه الذاكرة المأزومة أكثر من أي وقت مضى لا سيما قبل مطلع التسعينيات من القرن العشرين².

وتسليط الضوء على الغرفة التي تسكنها عناب ووالدتها زيتونة ماهو إلا المكان المحطة الذي يستعمله الروائي كنقطة انطلاق فقط، نحو مكان آخر غالباً ما يكون مكاناً قابلاً في قبو الذاكرة³، وهذا المكان هو مكان العبيد في المجتمع السعودي قبل وبعد قرار العتق، خلف

□ سنوك هوروخروني: ¹

□ حسن مناصرة: ذاكرة رواية التسعينيات قراءات في الرواية العربية السعودية، خطوط، ص 18.

شاعر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 3

□ 1994، ص 20

القصور في خانة الخدم على الرغم من امتلاكهم صك الحرية، ولذلك جاءت الغرفة التي تعد بمثابة البيت مكانا للإقامة الجبرية لا للإقامة الاختيارية، وما يؤكد ذلك هو انتفاء صفة الأمان عن هذا البيت، فعناب تتعرض للاغتصاب من رجل أبيض في هذا القصر الذي تعد الغرفة جزءا منه في إحدى جولاتها في فناء القصر جلست عناب وسط باحة كبيرة. أمام مجلس الرجال الكبير.... من باب المجلس امتدت يدان طويلتان بيضاوان جرتاها من قدمها وأدخلتها الغرفة.. عرفت ان جسدها الأسود أضعف من الجسد الأبيض.... والدتها كانت تروي حكايات عن النساء السوداوات اللاتي كن لا يحظين بأزواج، بل بأعمام يفعلون بهن ما يشاؤون في الليل والنهار. وإذا ما تنازل عنهن الأعمام يزوجوهن بسود مثلهن ليُلدن خدما وعبيدا¹

اندرج الفضاء هنا في قلب الحدث الروائي، إذ وظفت بدرجة البشر فضاء الغرفة داخل القصر لتتحت مسار شخصيتها البطلة عناب من طفلة بريئة الى طفلة مغتصبة الى زوجة بلا مهر درءا للفضيحة، الى زوجة مهجورة بعد خمسة اعوام من الزواج الى امرأة بلا قيد، ويتوجب علينا الإشارة الى أنّ النص الروائي لا يقدم لنا وصفا مفصلا للغرفة ولا لأجزاء قصر العمة شريفة، ماعدا مجلس الرجال الذي وصفته ب (الكبير - نوافذه مغلقة - ستائره حمراء)، وانتقلت بعدها الى الباب الذي امتدت منه يدان طويلتان جرتا عناب الى داخله، وعلى اعتبار البيت مجسدا لأحلامنا، إذ يعد البيت الذي ولدنا فيه أكثر من مجرد تجسيد للمأوى، هو تجسيد للأحلام كذلك، كل ركن وزاوية فيه كان مستقرا لأحلام اليقظة...² نقول إن الروائية لم تركز في وصفها على النوافذ المغلقة بشكل اعتباطي بل لتوصل فكرة الحلم المستحيل، فالنافذة جزء من فضاء الحلم كبرت عناب بين صغار العمة شريفة، تلعب مع بناتها. جلدها الأسود الذي عذبها كثيرا حاولت مرارا ان تقشره بأنواع مختلفة من الصابون، وقد عالجت فشلها بأن غرقت

□ بدرية البشر: الارجوحة، ص122، 123، 124.

□ غاستون باشلار: جماليات المكان، مرجع مذكور، ص44.

في أحلام اليقظة، تظهر فيها طفلة بيضاء..."¹، كما لم تركز الكاتبة على العناصر الجمالية التقليدية كالفخامة والتناسق بل اكتفت بثنائيتين تتفتحان على كل القراءات الدلالية (غرفة - قصر، بياض - سواد). خول سواد عَنَاب للرجل الأبيض اغتصابها انطلاقا من علاقة (السيد-العبد) المبنية على مجموعة من ثنائيات التضاد كما يظهر في الجدول الاتي:

المغتصب	المغتصبة
سيد	آمة
أبيض	أسود
غني	فقير
قوي	ضعيف
قصر	غرفة

-التضاد في علاقة المغتصب -الرجل الابيض بالمغتصبة عَنَاب السوداء-

يبدو أن هذه الثنائيات الضدية، حضرت في النص لتظهر مدى اغتراب عَنَاب عن جسدها أي المكان الذي تسكن فيه الروح، إذ لم تتقبل سواد بشرتها، كما لم يتقبلها المجتمع الذي ينظر اليها على أنها حورية سوداء تدخل في مزاد للمتعة لا غير²، كما جاءت هذه التضادات ليتخذها القارئ محجة الى سبل التخلص من النظرة الدونية للسود في المجتمع، و لتكشف درجة وعي الممارسة الابداعية الروائية ومستوى المعاني المتضمنة فيها حيث تتضح خصوصيات الخطاب الروائي السعودي الذي "تأسس على كسر أنماط السلطات التي تحد من

□ بدرية البشر : الارجوحة، ص121. 1

□ انظر بدرية البشر :الارجوحة ، ص137.136.135. 2

الحرية وفاعليتها :1-سلطة السياسة..2-سلطة الدين...3-سلطة التقاليد الاجتماعية¹..

ترتكز الارجوحة على رصد معاناة وطموحات كل من مريم وعناب وسلوى على اختلاف طبقاتهن الاجتماعية، عبر أسئلة الذات ومساءلة الآخر واستكشاف علائق الفرد الموضوعية بالمجتمع² ولذلك اعطت الروائية لبيت سلوى وبيت مريم وظائف اخرى غير التي اعطتها لغرفة عناب.

2-فضاء الإقامة الجبرية:

تبرز الأماكن المنضوية تحت ما يسمى بأماكن الإقامة الجبرية اغتراب الشخصيات في الروايات المدروسة، وليس السجن وحده الدال على فضاء الإقامة الجبرية من منطلق الحبس والمنع، وإنما داخل البيت إقامة جبرية للجسد، وداخل النفس إقامة جبرية للفكر، وداخل الماضي إقامة جبرية للحدث وداخل المستقبل إقامة جبرية في الخوف من الاعتقال القادم، وداخل الايديولوجية إقامة جبرية للرأي الآخر وداخل الفقر إقامة جبرية على ارصعة الشوارع، وداخل المرض إقامة جبرية للموت البطيء³.

لم يبرز السجن كفضاء بعينه في رواية الارجوحة لبدرية البشر، وإنما جاء في النص الروائي ممثلاً في غرفة استجواب هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي سيارة الجيمس التابعة للهيئة على اعتبارهما حبسا مؤقتا، وان لم يوصلا الى السجن في الارجوحة، اذ ارتبط هذان الفضاءان في معظم الاعمال الروائية بالدخول الى السجن، فهما فضاءان ممهدان للاعتقال من طرف الهيئة نذكر هنا على سبيل

صدوق نورالدين: السرد والحرية دراسة في المنجز الروائي ل "يوسف الحيميد"، الانتشار¹

□ العربي، بيروت، ط2008، 1، ص22.

محمد براءة: أسئلة الرواية، أسئلة النقدنحوار المستحيل؟، الابداع الروائي اليوم: أعمال ومناقشات لقاء²

□ الروائيين العرب والفرنسيين، ص228.

□ شاعر النابلسي: جماليات المكان، ص455.³

المثال لا الحصر بطلا رواية نساء المنكر لسمر المقرن (رئيف- سارة) من المطعم إلى سيارة الجيمس فغرفة التحقيق فالجلد ثم السجن.

2-1سيارة الجيمس:

كان لهذا الفضاء في النص وجود مادي ووجود معنوي - اما الوجود المادي فهو استغلال سيارة الجيمس التابعة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نقل الأزواج الى مقر الهيئة ما جعل سيارة الجيمس فضاء اقامة جبرية؛ اذ لم يكن الأزواج ليرتضوا مثل هذا الوضع الذي ترتبت عليه عقد نفسية حادة، فضل بعدها مشاري الرحيل عن المملكة التي لا يجوز فيها ان يترافق الأزواج الاصدقاء الى مطعم عام. أما الوجود المعنوي فيتمثل في الخوف من الاعتقال القادم والفضيحة التي تليه وفرض ايديولوجية الهيئة على العباد؛ اذ لا يحق للأزواج الاصدقاء الاكل في المطاعم العامة ولو في إطار الآداب العامة للبلاد،وقفت مريم وسوسن تتبادلان نظرات قلقة ثم لحقتا به.وجدتا زوجيهما محشورين بين رجلين في سيارة "جيمس" امريكية. أشار لهما الرجل ذو الوجه المكفهر بأن تركبا في المقعد الخلفي. نظرت مريم الى مشاري فوجدت عينيه قد سرحتا في اللامكان."ربما" كان يفكر في الفلسفة الجديدة لواقع السلطة المستبدة في سيارة أمريكية، وابتسامة ساخرة ترسم على شفثيه¹.

حاول النص ان يعطي للقارئ صورة واضحة عن الممارسات التي تقوم بها هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال التركيز على التعاليق الذهنية ؛ فالتعليق على بنية الفضاء الروائي، قد ينهض بوظيفة أساسية حين يطغى القصور الذي يلحق الوصف الثبوغرافي، ويفسح المجال لعمل المخيلة الذهنية، التي تسعى الى تعويض النقص الحاصل في البناء الدلالي للفضاء السجني عن طريق التأمل وإبداء الملاحظات حول هذا العالم الغريب²، فالرواية هنا فتحت هامشا للتساؤل عن مدى قمع السلطة في بلادها للحريات الشخصية وإن لم تقرب

□ بدرية البشر: الارجوحة، ص21

□ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص60.

الخط المحرم، وتصلنا التعاليق الى نافذة لا يمكن ان نرى فيها إلا الخطر دون أن تتمكن من وصفه.

2-2 غرفة الاستجواب بمقر هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عمدت بدرية البشر الى التركيز على التعاليق الذهنية حتى فيما يتعلّق بغرفة الاستجواب، وأشارت إلى أن التحقيقات تمت في غرف منفصل بعضها عن بعض في الغرفة المقابلة حيث انفرد بها ذو وجه مكفهر آخر.. وفي موضع اخر عادا الى المنزل وهما متوعكان بسبب الذل الذي سقياه، تفتت كبداهما بالصخور التي بلغاها وهما يجيبان عن اسئلة حراس الفضيلة...فتشوا كل شيء. بدوا¹ عاريين - ضعيفين... كل هؤلاء يملكون الحق في توجيههما وتوبيخهما وردعهما عن الخروج عن شرع القبيلة. لم يقفرا حتى على أكل بيتزا في مطعم²

مشاري ومريم وثامر وسوسن في اقامة جبرية داخل ايدولوجية الآخر الذي يحرمهم من ممارسة أبسط حقوقهم وهي أكل بيتزا في مطعم، وهذه الاقامة الجبرية تشكل اغتراب الابطال الذي تمرّدوا على واقعهم بأشكال مختلفة .

3-فضاءات الانتقال:

3-1 فضاء أماكن الانتقال الخاصة :

3-1-1 فضاء المقهى:

يعتبر فضاء المقهى في رواية الارجوحة فضاء هاما عكس اغتراب البطلة مريم التي كانت تشعر بالاغتراب في مدينتها الرياض، مدينة المحذورات أو المدينة المقبرة كما أسمتها في دلالة على الانغلاق، ولكنها ايضا تعيش حالة من الاغتراب وعدم القدرة على التأقلم مع المدينة المنفتحة تماما؛ إذ لم تتمكن من مسaire صديقتها فيما هما عليه من تفتح وتجاوز لكل الحدود. ولأن الفضاء في الرواية

□ ورد تصريف الفعل بدى بهذه الطريقة والاصح بديا وليس بدوا.¹

□ بدرية البشر: الارجوحة ص22، ص23.

ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور، الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث... فالمكان يحدد بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الذي ستجري فيه الأحداث؛ فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية.¹، ولذلك تشعر مريم بلا انتماء الى هذا العالم الذي يشكل تقاطبا مع العالم الاصلي في ثنائية تضاد (شرق-غرب/ نجد-جنيف).

في شارع دي رون...في المقهى العربي الذي يقبع تحت الأرض فتح النادل لهن زجاجة شمباتيا، قال لهن: إنها من السادة الذين يجلسون حول الطاولة الأخرى....وقامتا تتمايلان بقامتيهما الطويلتين وهو يعني...² عاود مريم توترها. طلبت من الجرسون شايًا أخضر وظلت تشرب حتى آخر السهرة. شعرت بانها لا تنتمي الى هذا العالم ولديها مشكلة في التناغم معه....³.

مريم على الرغم من لعنها لكل المحظورات والانغلاق الذي تعيشه المرأة النجدية، فإنها لم تتمكن من شرب الخمر ولا الدخول في علاقة محرمة مع أن زوجها مشاري قد هجرها بلا مقدمات ولا أسباب. وتعالقت طبيعة شخصية مريم- التي لا تملك حياة إلا في عالم الكتب- مع المكان الذي وإن اقتقر الى وصف دقيق، إلا أنه من خلال أعال البطلات الثلاث نؤثت هذا الركن الذي وصف بالمطعم العربي الواقع في شارع دي رون القابع تحت الأرض، في تقاطب آخر يعمق الاغتراب المكاني (الحياة العادية -فوق الأرض/ حياة المجون-تحت الأرض).

جميع هذه التحديدات موجودة في "في النظرية والمنهج" من الصفحة 25 إلى الصفحة 42- في بنية ¹

□ الشكل الروائي

□ بدرية البشر، الأرجوحة، ص1139.

□ بدرية البشر، الأرجوحة، ص140.

يكون المقهى قائما بأدوار عدة متتالية يتراتب بعضها على البعض¹:
أولها :انه يشكل انطلاقا الى عالم غير خاص، أو دائرة جديدة تغاير
حدود المنزل الاسري أو الاسرة بمعناها البسيط و بطلات الارجوحة
بارتيادهن المقهى العربي تعرفن على أربعة شباب، وشعرت مريم
بالحرج لمخالفة العرف الأخلاقي كما سبق أن اشرنا .
ثانيا :انه يتيح الوعي بكل العلاقات الممكنة، وعلى بأشكال مغايرة
لعلاقات النسب والدم، فقد بات محتضنا نوعا من المنادمة التي تخلق
شريك المآسي كما هو الامر بالنسبة للصديقات الثلاث: مريم الباحثة
عن زوجها، وسلوى الراكضة دوما وراء طليقها الذي طلقت منه طلاقا
تعسفيا لم تختره، وعُتاب الباحثة عن المتعة التي تؤكد من خلالها أن
سواد بشرتها لن يقف حائلا بينها وبين العيش الحر في محاولة للتحرر
من العبودية الساكنة في اعماق نطقة من عقلها.
ثالثا:أنه يمنح الفرصة (تترتب على الدور السابق) لخلق حوار ممكن
لايتيح غيرة من الامكنة : منادمة الرجال والرقص على الانغام ...
رابعا:انه بعيد عن الرياض ويعد محطة هامة من محطات الانفلات من
رقابة هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو كما جاء وصفهم
في الرواية "حراس الفضيلة".
يعتبر فضاء المقهى العربي "دي رون" بجنيف فضاء ضديا لفضاء
مطعم " البيتزا في شارع التحلية "دخلا مطعم بيتزا في شارع
التحلية،مطعم صغير مثل كل مطاعم البيتزا هت، أشارت نحو قسم
العوايل لكن بدلا من البيتزا هبطت عليهم الكلمات الأكثر سخونة،
انزاح الستار الذي يغطي المقاعد التي انحشروا فيها بانتظار
الطعام.ظهر عليهم وجه مكفهر ذو لحية شعثاء،وعينين تغليان
بالغضب.امسك طرف الستارة وراح يقول :
-الحجاب هداكن الله.....²

□مصطفى الضبع:المقهى في الرواية العربية، مجلة وجهات نظر-العدد18-يوليو-2000،

□بدرية البشر : الارجوحة، ص20، ص21. ²

ففي مقهى دي رون بجنيف، سهرت البطلات لوحدهن ليلا دون محرم، بالمقابل في مطعم البييتزا كانت مريم وسوسن برفقة زوجيهما - البطلات في مقهى دي رون شرين الشامبانيا، في حين طلب الأزواج بيتزا، وفي انتظار وصولها كانوا يتبادلون اطراف الحديث، البطلات قمن للرقص رفقة شبان لا يمتون لهم بصلة قرابة، وأتممن السهرة معهم بل بقين رفقتهم حتى بعد الرابعة صباحا دون وجود سلطة الرقيب، في حين أن سلطة الرقيب في مطعم شارع التحلية أوصلت الأزواج الى مقر هيئة الامر بالمعروف بتهمة إجلال الزوجة مع غير محرم لها بوجود المحرم - الزوج.

شكلت السلطة إذن بعداً تضادياً، فالسلطة الجهاز الذي تأسس لاختراق القيم الضالة كلها، والمنحرفة في المجتمع لتحقيق العدالة فيه، تحوّل نفسه الى أعلى قيمة من قيم الظلم والتقاذف بالتهم غير المؤسسة.

شكل المقهى والمطعم في الرواية فضاء لتحرك الشخصيات والتقاءها ليكشف لنا ما تعانيه هذه الشخصيات من كبت وممارسة قهرية لهيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - كما تصورنا الروائية-، فحملت هذه الاماكن طابعا سلبيا رسم لنا معاناة الشخصيات الروائية من ضياع وتهميش؛ إذ جعلت منها مكانا للتفريغ من الكبت، اذا تعلق الامر بالفضاءات الغربية-جنيف-وفضاء لممارسة السلطة القهرية اذا تعلق الامر -الرياض-.

ظهر استخدام المكان بشكل سلبي كما في الروايات التي اختارت اسم السعودية، أو الرياض بصفتها العاصمة بوصفها دلالة على الانغلاق والتحجر والتخلف، وجدة باعتبارها رمزاً للتحرر والانعتاق من القيود، وكأن هؤلاء الروائيين لا يرون في بلدهم مظاهر إيجابية تدعوهم إلى التغني بها¹

3-2 فضاء أماكن الانتقال العامة:

زهير بن حسن العمري: الرواية السعودية المعاصرة دراسة في مكونات السرد الروائي، دار المصري

للنشر والتوزيع، 2012

3-2-1 فضاء الشارع:

يقول هنري ميتران عن الشارع إنه فضاء مفتوح، ومحصور في الوقت نفسه، فهو مفتوح من منفيه الذين تأتي إليه ونغادره منهما، و كذلك منهما نتوقف ونتحول ونلتقي الآخرين والشارع يحصرنا وينغلق علينا من جانبيه، بالبيوت والحيطان والأسيجة والحواجز¹، ولا يمكن للانسان الاستغناء عن هذا الفضاء فلا يمكنه أن يبقى داخل البيت أو المسجد أو المقهى أو الفندق دون الانتقال عبر الشوارع الى فضاءات اخرى.

وظفت بدرية البشر فضاء الشارع الغربي وبالتحديد فضاء الشارع السويسري، وكان له أهمية كبيرة في روايتها التي لم يرد فيها فضاء الشارع السعودي كجزء من مدينة الرياض التي تتطلق منها الاحداث، و وإن كان الشارع ترمومتر حركة وسكون المدينة، ووصف الشارع هو صورة ذهنية متباينة بين القصاصين سواء أكان الشارع الموصوف محاكاة لمكان حقيقي، ام صورة متخيلة، ووصفهم الشارع ارتبط بمنظور الراوي، أي وجهة نظره في علاقة المكان بالحدث والشخصيات، وارتبط كذلك بقدرته التعبيرية، وما يكنه لهذا المكان من حب وعداء²، ولذلك اكتفت بدرية البشر بحديثها عن مدينة الرياض بشكل عام دون ان تنزل الى شوارعها الميئة على اعتبار الروائية فتحت نصها الروائي على كون الرياض مقبرة " ...قبل ان ترتفع الطائرة في السماء، كانت الانوار الخافتة للمكان تكافح طبقات التراب المنتشرة في الهواء، في التاسعة مساء شق هدير محركات الطائرة سكون مقبرة التراب..."³ - فالمقبرة لا شوارع لها بل المسافة بين القبر والقبر ما هي إلا دلالة على انغلاق الشارع السعودي على

لبلازك، ترجمة حزل (عبد Ferragus ميتران هنري: المكان والمعنى: الفضاء الباريسي في قصة

□ الرحيم)، إفريقيا الشرق، 2003، ص: 139.

هيفاء الفريخ: تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية، الناحي الأدبي بالرياض، المركز الثقافي

□ العربي، ط2009، ص163.

□ بدرية البشر، الارجوحة، ص7.

كبر مسافته الحقيقية، فبدرية البشر ذكرت الشارع السعودي كفضاء مغلق بإعطائها مدينة الرياض وصف المقبرة وهو وصف دال على المعنى في ذاته دون حاجة للتصريح بذلك المعنى سواء كان قبله أو بعده¹

ومن خلال قراءاتي للرواية السعودية أسجل أن بدرية البشر شكلت حالة خاصة في عملها الأرجوحة بأن عكست القاعدة، فعموما جاء الشارع في الرواية السعودية بمعنى الانطلاق والانعتاق من القيود: ففي رواية "بنات الرياض" وجدنا الفتيات يقمن شوارع داخل كلية البنات المغلقة، وكأن ذلك تعبير عن حاجتهم إلى الانطلاق، وفك القيود التي تحاصرهم،² وبدرية البشر التي لم تات على ذكر شوارع مدينة الرياض في روايتها الأرجوحة، جعلت بطلتها مريم تنطلق في شوارع سويسرا متحررة من عبائتها السوداء بحذاء جلد فضي ذي رقبة طوبلة، وبوشاح احمر مشت مريم في شوارع جنيف، كناقعة عربية جاءت من مكان بعيد، مضمخ بالحكايا الخرافية، والاساطير....مدينة لا تخجل من عريها، ولا من خمورها . ولا من الغرام المعلن في شوارعها... نساؤها يخطرن كغزالات امنة بينما النساء في بلادها مسكونات بالذعر يعبرن بوجل حين يعبرن شارعا ملغما بالرجال³.

قام السارد هنا بمقارنة ضمنية بين فضاء الشارع السويسري وفضاء الشارع السعودي، ولم تأت هذه المقارنة مرتبطة بالوصف المادي للمكان؛ إذ أعطى السارد للوصف وظيفة ايديولوجية قوامها اقحام افكار وأراء الكاتبة الرافضة لوضعية المرأة في المملكة التي قالت عنها إنها تصاب بالذعر اذا مرت بشوارع ملغم بالرجال، فالمرأة او على الاقل البطلة مريم تعاني من اغتراب فضائي مزدوج فهي لم تتأقلم مع وضعها في بلدها الاصل، ولا مع الحرية المطلقة في سويسرا

□ انظر: قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردو، ص166.

زهير بن حسن العمري: الرواية السعودية المعاصرة دراسة في مكونات السرد الروائي، دار المصري

□ للنشر والتوزيع، 2012

□ بيرة البشر : الأرجوحة، ص44.

اذ جاء في نص الرواية ...تشعر ان لا احد يستحقها،وانها مجرد حشرة ملونة صغيرة، ما من احد يهتم بامرها في هذا العالم الكبير، فتبكي حظها وزوجها الذي ذهب وضاع¹. وقدم لمنا الفضاء الروائي من واقع السارد العلم بكل شيء اذ تشير معظم الدراسات الإنشائية المعاصرة استحالة تقديم الفضاء الروائي دون سارد، سواء أكان هذا السارد وسيطا بيننا وبين عالم الرواية أو شخصا من شخصوها.²

4-التقاطبات الدلالية :

4-1ثنائية الانفتاح والانغلاق

تعد ثنائية الانفتاح والانغلاق الثنائية الأبرز في رواية الأرجوحة و في رحلة بحث البطلة مريم الحور عن زوجها مشاري الذي قطع الاتصال بها بعد اسبوع من سفره،رحلة نقلت مريم الحور من مدينة الرياض التي وصفتها بالمقبرة الى جنيف السويسرية، هذه الرحلة وإن طبعت تجاربها بختم الانفتاح على التجربة في حد ذاتها، تميزت بانغلاق الذهن على ذاته وفق ثنائية حقيقة التأزم و وهم الانفراج يدفع طرفاها الواحد نحو الآخر في حركة تداول لا تنقطع لتعبّر عبر تعدد التجارب و تحوّلها و لتوهم روائيا بتطور مسار رحلة الشخصية، إذ تنفتح الرحلة على تأزم يترجمه إحساس مريم بالندم "منذ أن ركبت الطائرة وهي تشعر بالندم ينمو في ضميرها .كانت تنظر من مقعدها اللصيق بالنافذة الى المسافة التي باتت تفصلها عن الرياض، انقبض قلبها خوفا ويأسا فسألت نفسها :

-ماذا فعلت ؟..أخبرها أنه حالما يسافر الشيخ نواف الى باريس، سيدعوها ليقضيا اسبوعا في جنيف، لكن هاتفه المحمول فجأة أصبح خارج مجال التغطية هو لم يتصل³

□ بدرية البشر :الأرجوحة،ص145.

الرواص (مصطفى): فضاء بيروت في رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف، م م، ص: 2

□50.

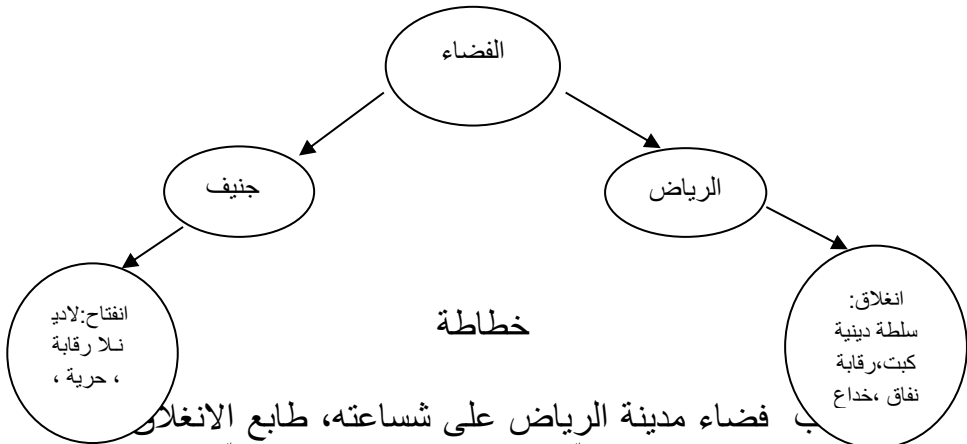
□بدرية البشر : الارجوحة،ص83.

يدفع التأزم من سفر مشاري وعدم اتصاله إلى السعي نحو الانفراج من خلال السفر الى جنيف في محاولة للعثور على زوجها، ولكن ألم التأزم من جديد يسير بها نحو طلب الانفراج في التحرر مع صديقتها سلوى وعنّاب؛ اذ جاء في الرواية: **لم تعد تعرف عنه شيئا، ولكنها متيقنة من أن زوجها يمر بعاصفة ترابية، وأن فرصة استعادته كما كان سابقا تتضاءل كل يوم¹**، وعليه تكون مريم قد سافرت وهي تعلم مسبقا ان فرصة استعادة مشاري تتضاءل يوما بعد يوم مما دفعها الى طلب الانفراج في التحرر مع صديقتها، ولكن هذا الانفراج لم يكن انفراجا حقيقيا وانما وهما بالانفراج في ظل واقع تأزمها من: (تصرفات صديقتها -الاماكن الملهى الليلي-مرافقة الشباب..)

يجعل التقاطب الدلالي انغلاق - انفتاح الفضاء الروائي لرواية الأرجوحة ينشطر الى فضاء مدينة الرياض - فضاء مدينة جنيف. فضاء مدينة الرياض فضاء مغلق إذ تحكمه أطر وقوانين واعراف تمنع اختراقه وانفتاحه وتجعله فضاء مغلقا مهما اتسع، وفضاء مدينة جنيف فضاء مفتوح تماما شأنه شأن كل الفضاءات الغربية، فقد قابلت بدرية البشر بين فضاءين مختلفتين حضارياً ودينياً واجتماعياً وتربويا: الفضاء السويسري المتقدم والفضاء السعودي المتخلف. ويدل الفضاءان على الصراع الحضاري والثقافي والديني. وتتقابل الأمكنة العامة والخاصة للإحالة إلى مجموعة من القيم والسمات المتقابلة كالتطور والتخلف، والمادة والروح، والبداءة والحضارة، وإن كانت الروائية قد قابلت بين المطاعم في الرياض والمطاعم في جنيف لتبرز اغتراب البطلة مريم الحور عن الفضاءين معا - فإن كانت الرياض في نظرها مقبرة وعشاء في مطعم رفقة زوجها وصديقه يعد جرما في بلدها يوصلها الى التحقيق وتحرير تعهد بعدم تكرار المغامرة، ملاهي جنيف ومطاعمها تشعرها بالضيق والذنب فيتحول

□ بدرية البشر : الأرجوحة ،ص18.

هذا الفضاء المفتوح تماما بالنسبة لسلوى وعناب، إلى فضاء مغلق على اتساعه، وهذا لما اضافته مريم للمكان من مشاعر وأحاسيس. ومن هنا نستنتج أن هذه الثنائية لا تخضع للقيم الجغرافية المعروفة (الاتساع، الضيق، المحدودية) بقدر ما تخضع لوجهة نظر الشخصية ذاتها ويمكننا تمثيل ذلك بالخطاطة الآتية :



ب فضاء مدينة الرياض على شساعته، طابع الانغلاق الانغلاق لم يصنعه تشكّله التوبوغرافي إنما شكّله سلوكيات الشخصيات الممثلة له من خلال الاقوال والافعال، فلقد استحالته الرياض- المدينة التي يفترض ان تكون مكانا مفتوحا - إلى مكان مغلق بسبب تضيق هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على حرية الناس حتى في اطار شرعي، أما جنيف التي تعتبر مكانا مفتوحا بالنسبة لعناب وسلوى فهي تعد مكانا مغلقا بالنسبة لمريم التي لا ترتاح لأماكن السهر -الملاهي- والعلاقات التي تدخل فيها عناب مع الشباب، اذ جاء هذا التساؤل على لسان السارد الخارجي : هل هي أحافير ارث قديم يتسرب من لا وعيها، يحاسبها كما كانت تحاسبها أمها وهي بنت الحمائل؟ فبنات الحمائل لا يسهرن خارج المنازل، وبنات الحمائل لا يكشفن وجوههن للرجال، وبنات الحمائل لا يسمع لهن صوت...¹، فكونها من بنات الحمائل كما جاءت اللفظة في النص الروائي لا يمكنها

□ بدرية البشر : الارجوحة، ص141. 1

ان تتحرر لتعيش حياة عكس الحياة التي رفضتها في الرياض التي تكون فيها طرفا ثانيا في علاقة (أمر - مأمور).

يدخل تقاطب الانفتاح والانغلاق في علاقة جدلية مع سلوكيات الشخصية النفسية والاجتماعية والثقافية التي تؤطر الفضاء، فالراحة والالفة والحميمية والحرية هي التي تشكل انفتاح المكان، والضغط والصراعات والقيود هي من تشكل انغلاقه.

4-2 ثنائية الداخل والخارج:

أطرت ثنائية الداخل والخارج داخل السياق السردى لرواية الأرجوحة جملة من الامكنة المكونة للفضاء الروائي، واكسبتها دلالات نفسية واجتماعية تتعلق اجمالا بأبعاد الشخصية المتحركة، فيها فلكل كائن مكانه الذي يمثل مركز اشعاع بالنسبة إليه ويتعارض مع العالم الخارجي. وتقسيم الثنائية إلى الداخل والخارج يحمل في طياته منظومة قيمية الأكثر من الجغرافيا، فالداخل لي والخارج لا علاقة لي به، ويقول عاستون باشلار إن الداخل والخارج يشكلان جدلية للتمزيق -الابعد، كما أن الهندسة الواضحة لهذه الجدلية تبهرنا لدى توظيفها في الحقول المجازية -الاستعارية، اي ان جدلية الداخل والخارج تملك صرامة جد واضحة بخصوص جدل " النعم " واللا" الذي يقرر في كل الاتجاهات¹ نجد هذا التقاطب في رواية الأرجوحة، فالرياض تعد بالنسبة لشخصيات الرواية "داخل" وغيرها من الأماكن التي سافرت اليها هذه الشخصيات "خارج" سويسرا على سبيل المثال لا الحصر، ومطعم البييتزا يعد "داخل" بينما الشارع يعد ضمن المنظومة "خارج".... نصطدم بهذه الثنائية التي لا مفر منها بشكل كبير في المتن الروائي .

نرصد في هذه الثنائية "الخارج" بمثابة المكان الذي سافرت اليه الشخصيات، والمتمثل في جنيف التي سافر اليها كل من مريم وسلوى وعناب ومشاري. أما الداخل فهو الرياض، حيث جاء من "الداخل" الرياض جاء جميع أبطال الرواية الى "الخارج" جنيف التي تعتبر

¹ Gaston bachelard:la poetique de l'espace,p191

مكانا عاما ليس ملكا لأحد، ومحايذا ليس لأحد هيمنة فيه على الآخر كما إن الشخصيات فيه لها نفس الامتياز المكاني، مكان يلم خطى الهاربين أو المنفيين من الأماكن الأخرى بحريتهم أو رغما عنهم وفي رواية المدروسة كل الشخصيات اختارت هذا الفضاء رغما عنها : -مريم غياب الزوج وانقطاع الاتصال به اجبرها على السفر . - سلوى المطلقة اجباريا ذهبت للقاء زوجها السابق. - عتاب المسجونة في سواد بشرتها ذهبت بحثا عن الحرية . -مشاري المضغوط بسبب المحذورات في الرياض ذهب للانعقاد منها.

-سلطان العاجي زوج سلوى السابق من اجل الالتقاء بطليقته بعيدا عن عين زوجته وأمه.

اصبح هذا " الخارج " بالنسبة الى الشخصيات المذكورة مكانا ضديا ل" الداخل" الذي يعد كياناً اجتماعياً يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا شأنه شأن أيّ نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاق وأفكار ووعي ساكنيه، ومن خلال الأماكن يستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم، وكيفية تعاملهم مع الطبيعة¹، ومن خلال الاحداث الروائية رسمت لنا بدرية البشر سمات هذا المجتمع " الداخل "(محافظ، متشدد، خاضع لسلطة تزعجه -هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر-- خاضع لسلطة العشيرة، يضع المرأة في غير خانة الرجل..)، و تفاعل الشخصيات مع هذا الفضاء لا بد أن ينتج عنه عدة مستويات يختلف بعضها عن بعض كلّ حسب الظروف التي تعيشها الشخصية في المكان (الانتماء- التنافر- الحياد) لا نجد في الارجوحة أنموذجا للشخصية المنتمية ولا للشخصية الحيادية، وإنما نجد أنموذجا للشخصية النافرة، وسأكتفي في هذا المقام بنموذج واحد وهو مشاري زوج مريم الحور، ذلك الذي لم يستطع أن

ياسين نصير: الرواية والمكان، ج2، وزارة الثقافة، بغداد، 1995، ص16. وانظر: رولان¹

بورنوف، وريال أوئيلية: عالم الرواية، ترجمة: نهاد التكرلي، ط1، 1991، ص95، ونوال أحمد مساعدة،

□نوال: البناء الفني في روايات مؤنس الرزاز، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص26.

يقاوم طبيعة مجتمعه فاختر الهروب الى جنيف برفقة احد الاثرياء الطامعين في صيت الشعر لم يستطع مشاري ان يكون شمشون الجبار الذي يدمر الدنيا من اجل حبيبته، ولا عنتر الذي يصد الغزو ويحول دون سبي عبلة. كان ومريم مجرد شاب وشابة تافهين، تحت خيمة عشيرة مستبدة تتكون من آلاف الاخوة والاخوات وأبناء العمومة والخوولة، وكل هؤلاء يملكون الحق في توجيههما وتوبيخهما وردعهما عن الخروج عن شرع القبيلة. لم يقدر حتى على اكل بيتزا في مطعم...¹.

يعيش مشاري حالة تنافر مع المنظومة القبلية أو العشائرية التي هو فرد منها وهذا التنافر يؤدي الى اغتراب نفسي وفكري، فطبيعة المجتمع تشكل تفاصيل المكان حيث قد يجد الشخص قد يجد نفسه عاجزاً تماماً أمام ما يسود المجتمع الذي يعيش فيه من أنظمة اجتماعية فاسدة. هذه الأنظمة تقف حائلاً دون تحقيق أهدافه وتطلعاته ورغباته². ومشاري الذي لم يستطع ان يستجيب الا لغير سلطته، قرر الهروب من هذا المجتمع وان كان هروبه شكلا من اشكال العبودية، اذ اصبح يقايض الشعر بزجاجات الويسكي، وهذا الهروب هو شكل من اشكال الاغتراب النفسي؛ فانعدام تكامل الفرد كفرد مع المجتمع يصل ببعض الأفراد إلى أن يجدوا أنفسهم عاجزين عن الاستجابة أو الخضوع لأيّة سلطة غير تلك التي تصدر منهم هم أنفسهم، يؤدي بهم في النهاية إلى الانعزال عن المجتمع وفقدانهم تأييد الجماعة التي يعيشون فيها، وبالتالي استحالة الحياة في هذه الجماعة مما يدفعهم إلى الانتحار³.

يعتبر " الخارج-جنيف" المكان المحايد الذي يجمع كل هذه الشخصيات المتناقضة والمتصارعة لتتكشف دون خوف ولتنقل في

□ بدرية البشر : الارجوحة، ص 23. 1

حسن سعد السيد: الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق (1960-1969) 2

□ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 1986 ص 18.

حسن سعد السيد: الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق (1960- 3

□ (1969)، ص 19.

محاولة للبحث عن الذات أو الأمان، أو بعبارة أدق في محاولة التحرر من قيود السلطة الدينية والسلطة العشائرية، هذا "الخارج" الذي يوفر الحماية والحرية والتحرر مقابل "الداخل" الذي يراقب ويضيق ويستعبد ويسلب الحرية كما يظهر من خلال نماذج الشخصيات المختارة .

ساهم " الخارج " في الكشف عن أجوهر الشخصيات بارتباطها ببناء الأحداث في امتدادها الفضائي لحركتها بين الفنادق والساحات العمومية و المطاعم و الغابات، والملاهي الليلية، فكان الخارج المكان المثالي للتحرر من القيود بشكليهما الديني والعشائري والهروب من الحضور الضاغط للمؤسسة الدينية، إذ لا تكاد تخلو روايات المدروسة منه، كما تتمثل أيضا في رواية بدرية البشر، المؤكدة لذات الثيمة (هند وعسكر) حيث توجه الاتهام بشكل مباشر لرأس الهرم الديني (هيئة كبار العلماء) الذين يعملون بمثابة مظلة الهيئة الروحية من خلال دس رقباء في الاوساط الاجتماعية والثقافية والمهنية لإحصاء انفساس الناس، وتفتيش ضمائرهم¹

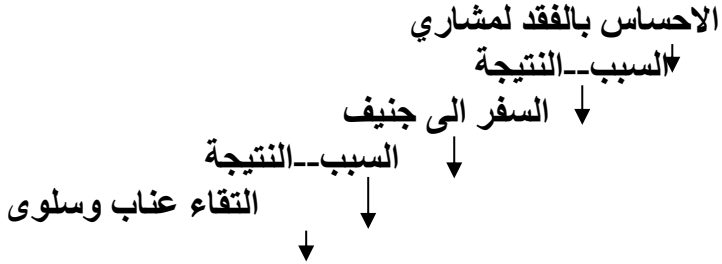
4-3 ثنائية التسلسل والتقطع :

تقوم الأحداث في الرواية على التسلسل وفق منطق سببي جعل الحدث السابق سببا في الحدث اللاحق ومولّدا له، بحيث احتكمت العلاقة بين الأحداث لمنطق التطور و التنامي والتوليد؛ فاحساس مريم بفقدان زوجها مشاري بعد انقطاع اتصاله، جعلها تسافر الى جنيف بحثا عنه، وفشلها في العثور عليه كان سببا في الدخول في تجربة السهر والملاهي الليلية، وعدم تأقلمها مع فضاء الملاهي والسهر والعلاقات ويأسها من العثور على مشاري جعلها ترجع الى الرياض حيث يتجلى اغتراب مريم النفسي . فمن ملامح الاغتراب عن الذات عدم الاكتراث والموقف السلبي اذ لا تدخل الشخصية دائرة الفعل، فهي لا تحرك ساكنا وتكتفي بالمشاهدة والتفرج..ومنها اليأس والقلق نتيجة

محمد العباس: مدينة الحياة، جلد 1 في الفضاء الثقافي للرواية السعودية، نينوى للدراسات والنشر¹
[والتوزيع، 2009، ص15، ص16.

للاحباطات المتواصلة...¹، ويحدث التقطع في عدم مبالاتها بالقامة التي تشبه قامة مشاري حين رأتها في مطار جنيف في تلك اللحظة لمحت قامة تشبه قامة مشاري، فلم تدر ما تفعل؟ اتركض نحوه وتعانقه؟ ام تهزه من ذراعه وتعاتبه؟ وقبل أن تصحو من أسنلتها، كان مشاري قد اختفى من دون ان تعلم ما إذا كان عائدا الى الرياض أم مسافرا الى بلد آخر. نهضت مريم، حملت كتابها ولم تحاول أن تلتفت في المكان بحثا عن مشاري، ومضت تاركة كوب قهوتها على الطاولة يتصاعد منه البخار².

تنامت أحداث الرواية فوق منطق توليدي اتكأ على تطور الحركة وتنوع الشخص و تحول المكان- هو ما يهمننا في هذه الثنائية بدأ تسلسل الاحداث انطلاقا من مطار الرياض وحدث التقطع في مطار جنيف فالثنائية مرتبطة بفضاءين- وتطور الزمان في شكل قصصي³ قطعت مريم الحور التي سافرت من الرياض الى جنيف بحثا عن مشاري هذا التسلسل بعدم اكترائها لمشاري الذي لمحت قامة تشبه قامته فوضعت نهاية لهذا التسلسل بل نهاية للعمل الروائي، فجاءت ثنائية التسلسل والتقطّع، مكملة صورة اغترابها عن الفضاء (الرياض-جنيف) باغترابها عن الذات التي من سماتها (القلق – عدم الاكتراث- السلبية...) كما يبين الرسم البياني التالي:



حماد حسن ابو شاوبش، ابراهيم عبد الرزاق عواد: الاغتراب في رواية " البحث عن وليد مسعود 1
لجبرا ابراهيم جبرا، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية) المجلد الرابع عشر، العدد
□ الثاني، يونيو، 2006، ص133.

□ - بدرية البشر : الارجوحة ، ص159. 2

□ أنيس حيوتي: الذهنية وتحليلاتها في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، مخطوط. 3



الرسم البياني-

ضمت الارجوحة مجموعة من التقاطبات ساهمت في الاجابة عن السؤال المطروح في بداية المبحث كيف ساهم الفضاء في اغتراب الشخصيات؟، فمن خلال الاتصال والانفصال، والانفتاح والانغلاق، والتسلسل والتقطع والداخل والخارج، تمكنا من الوصول الى حالة اغتراب مريم وعناب وسلوى بدرجات متفاوتة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

-بدرية البشر : الارجوحة، دار الساقى، بيروت، ط، 2010.

المراجع :

-أنور عبد الله: البترول والاخلاق، دار الضحى، لندن، 1990.

- أنيس حيوتي: الذهنية وتجلياتها في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، مخطوط.

-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء-الزمن-الشخصية-المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،2009.

-حسن نجمي: شعرية الفضاء، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1.

-حسن مناصرة: ذاكرة رواية التسعينيات قراءات في الرواية العربية السعودية، مخطوط.

-حسن سعد السيد: الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق (1960-1969)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1986 ص18.

- رولان بورنوف، وريال أوئيلية: عالم الرواية، ترجمة: نهاد التكرلي، ط1، 1991.

- زهير بن حسن العمري: الرواية السعودية المعاصرة دراسة في مكونات السرد الروائي، دار المصري للنشر والتوزيع، 2012.

-شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994.

-غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1987، 3.

-محمد برادة: أسئلة الرواية، أسئلة النقد: جوار المستحيل؟، الإبداع الروائي اليوم: أعمال ومناقشات لقاء الروائيين العرب والفرنسيين.

- ميتزان هنري: المكان والمعنى: الفضاء الباريسي في قصة Ferragus لبلازاك، ترجمة حزل (عبد الرحيم)، إفريقيا الشرق، 2003.

-مصطفى الرواص: فضاء بيروت في رواية سباق المسافات الطويلة لعبد الرحمن منيف

-نوال أحمد مساعدة: البناء الفني في روايات مؤنس الرزاز، دار الكرم للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

-ياسين نصير: الرواية والمكان، ج2، وزارة الثقافة، بغداد، 1995.

- يجيبى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1-2005.
- المجلات والدوريات:
- حماد حسن ابو شاوبش، ابراهيم عبد الرزاق عواد: الاغتراب في رواية " البحث عن وليد مسعود لجبرا ابراهيم جبرا، مجلة الجامعة الاسلامية(سلسلة الدراسات الانسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيه، 2006.
- مصطفى الضبع: المقهى في الرواية العربية، مجلة وجهات نظر- العدد18-يوليو-2000.
- المراجع والمصادر باللغة الفرنسية :
- ، Lausanne، L'espace romanesque: Jean Weisgerber - p. 11، 1978، éd. L'Âge de l'Homme
- Préface à l'ouvrage de Denis ،-Hadès-Benjamin
- ، Germinal d'E.Zola، L'Espace et le sens، Bertrand 1985،، Paris-Amsterdam
- La Production de l'espace. Paris ":- Henri Lefebvre 2000. ،:Anthropos
- p191، la poetique de l'espace: Gaston bachelard-
- ، Paris، L'Espace et la nouvelle: M. Issacharoff 1976، Corti
- « L'Espace littéraire entre géographie et critique. » dans Rachel Bouvet et Basma El Omari (dirs.). *L'Espace en toutes lettres*. Montréal : Éditions 2003، Nota bene
- « L'expression de l'espace dans : Michel Raymond Positions et oppositions dans le le nouveau roman » ، colloque de Strasbourg، roman contemporain 1971، Klincksieck

**« L'organisation de l'espace dans le :- R. Bourneuf
art. cit. 'roman »**